سكرتهم يعمهون وفى حيرتهم يترددون. وهكذا قال القاضى عياش: أجمع أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ ـ ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وحياتك ـ وهذا نهاية التعظيم وغاية الحب والتشريف.

وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البريه عنده.

## القرآن الكريم معجزة خالدة

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على قلب رسوله ﷺ معجزة باقية خالدة. والقرآن نازل لجميع الخلق بما يدل على عموم رسالة النبى محمد ﷺ، وهو نازل من ربهم الذى هو الحاكم بينهم والحاكم عليهم، ونزوله من كمال ربوبية الله، وهو رحمة للعباد وربوبية الله مبنية على الرحمة.

فكل ما أمر الله به عباده ونهاهم عنه فهو رحمة. والقرآن كلام الله، لأنه منزل من عنده، فالقرآن هو مأدبة الله الخالدة التى لا يشبع منها العلماء، فهو باق كما أنزله الله، تمر عليه السنون وهو على جدته، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله أنزل على القرآن آمرًا وزاجرًا، وسنة خالية، ومثلاً مضروبًا، فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، ولا تنفض عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين،

والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقض عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد".

## نور الله فى القرآن الكريم

اختير النور مثلاً للهداية المؤمنة، كما اختيرت الظلمة مثلاً للضلال الكافر، وفى شعاع النور الوضئ يسير العقل المهتدى آمنًا مستريحًا، وفى ظلام الكفر يتخبط العقل الضال حائرًا تائهًا.

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد ٢٨).

هذا النور الهادى إلى الغيمان مثله فى قلب المؤمن كمثل مشكاة فيها مصباح، المشكاة صغيرة محدودة ونور المصباح بها متوهج متألق، فهو يملؤها بهاء وإشراق، متوهج متألق لأنه ليس مصباحًا كما نرى من المصابيح، بل هو مصباح ذو زجاجة وضيئة لامعه كأنها كوكب درى ألاق، أما زيت المصباح فليس كزيت الناس، بل يعتصر من شجرة زيتونه يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار.

انظر إلى الكوة (المشكاة) متخيلاً وتأمل هذا المصباح السحرى العجيب شاخصًا أمام عينيك يرسل فيوض النور المتلالئة فى بهاء، فالمكان كله نور على نور، هكذا نور الهداية فى قلب المؤمن.